أثر ثورة 1919 في الحركة الوطنية في السودان (1919- 1924)

نسمة سيف الإسلام سعد ،
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة.

لم تنشب ثورة **1919** في مصر فقط في تلك الفترة، وإنما امتدت شظاياها إلى كثير من بلدان العربية التي كانت واقعة في تلك الفترة تحت وطأة الاحتلال والسيطرة البريطانية بل نجد أن شظايا ثورة **1919** امتدت حتى الهند، وفي احدي مراحلها ألهمت الزعيم الهندي الماهتما غاندي بطرق المقاومة السلمية التي استخدمتها المقاومة الهندية حتى حصلت على استقلالها من الاستعمار البريطاني.

وعلى النطاق العربي نجد أن خضعت البلدان العربية لتأثير الحرب العالمية الأولي والنتائج التي ألت إليها وكانت معظم البلدان العربية ميدانًا للقوات الأجنبية، وبعد انتهاء الحرب نجد ان بريطانيا قد قدمت وعودًا للعرب الذين شاركوا معها في القتال بالوقوف إلى جانبهم ومساندتهم لتقرير مصير بلادهم، ولكن بعد انتهاء الحرب لصالح الحلفاء تنصلت بريطانيا عن تلك الوعود مما أثار استياء البلاد العربية فحدثت العديد من الثورات كانت بدايتها في مصر في شهر مارس من عام **1919** عندما قامت ثورة المصريين ولم يكن قد مضي على الهدنة سوي بضعة أشهر فكانت أولي الثورات بعد انتهاء الحرب العالمية الأولي فضلاً عن إنها كانت ثورة شعبية شاملة اشتركت فيها كافة طوائف الشعب المصري فقد قامت في البداية في المدينة تقودها طبقة العمال والطلاب والمثقفين ثم انتقلت أخبارها إلى القرى فاستجابت هي الأخرى وحدث تلاحم شعبي كان له اكبر التأثير على البلاد العربية ومن بينها العراق والسودان.

كان لدولة العراق نصيب كبير من التأثر بثورة **1919** وفي ذلك يقول طاهر العمري الكاتب العراقي في كتابه (تاريخ مقدرات العراق السياسية) " أن أنباء ثورة **1919** جعلت عزائم أهل العراق تشتد، وأخذوا يستهينون بالإنجليز وبمقدراتهم السياسية " (ابو كف، أ. **1989** : **47**)، ولكن اعترض البعض على هذا الرأي فالشعب العراقي لم يكن متلاحماً مستقر التراكيب بالإضافة إلى أن طول العهد التركي الأخير انتشرت التمردات والانقلابات ذلك بعكس الشعب المصري الذي كان مستقرًا ولم يشهد مثل هذه الانقلابات والانقسامات ولم يتعرض لموجات

من الهجرات أدت إلى تكوين مجموعات مختلفة من السكان تتصارع مع بعضها البعض (بصري، م.**1999**: **13**) .

كانت السودان أكثر البلاد العربية اتصالاً بمصر وعن طريق مصر جددت السودان طابعها العربي والإسلامي بعد سيطرة محمد على عليها عام **1821** ونص فرمان **1841** على ولاية محمد على على (مصر والنوبة ودارفور وكردفان وسنار وملحقاتها وتوابعها) طيلة حياته ولم يعط محمد على سواحل البحر الأحمر واريتريا لأنها كانت تابعة لولاية جدة. وحكم السودان باسم محمد على ثمانية ولاة. وكان أطولهم حكمًا وأبعدهم أثرًا هو الوالى الخامس خورشيد باشا (**1826**- **1838**) الذي أسس مدينة الخرطوم وجعلها عاصمة للسودان ومن الناحية الاقتصادية حدث تطوير للاقتصاد السوداني أثناء تلك الفترة حيث تم إدخال زراعة القطن وكذلك تم رفع المستوي الصحي والتعليمية والاجتماعي للبلاد(غرابيه، ع. **1987** : **174**)، واشترك السودانيون في وحدات الجيش المصري مما أدى إلى زيادة التقارب بين مصر والسودان (بيضون، ج. **1992**:**92**)،وفي عهد الخديوي إسماعيل تم الاهتمام بالأمن فتم إنشاء مراكز للبوليس وكذلك تم إشراك السودانيين في إدارة شئون البلاد وتم تعين الشيخ أحمد أبوسن كبير مشايخ الشكرية أول مدير سوداني للخرطوم (الطيب، ز. **24**:**2010**).

وبعد الاحتلال البريطاني لمصر عام **1882** وما أعقبة من اضطراب الوجود المصري وعقد بريطانيا اتفاقية الحكم المشترك مع مصر للسودان عام **1899** وبمقتضاها يشترك الجانبان في السيادة على السودان ولكن من الناحية العملية كانت السيادة في السودان للحاكم العام البريطاني والموظفون الذين يختارهم الحاكم العام البريطاني (كولينز، ر.**2010**: **53**) ولم تتم استشارة مصر مرة واحدة منذ توقيع الاتفاق الثائي وظل الحاكم العام مطلق السلطة في السودان وعندما صدر قانون عام **1910** بإنشاء مجلس للحاكم العام يشترك معه في سلطاته التنفيذية والتشريعية شُكل هذا المجلس من موظفين بريطانيين ومُنح الحاكم حق مخالفة كل قرارات هذا المجلس، ظلت مصر تسدد عجز الميزانية في الحكومة السودانية حتى عام **1912** عندما استطاعت بريطانيا تحقيق الموازنة بين إيرادات ومصروفات السودان (محمد ، م. **1994**: **8**).

وعندما انتهت الحرب العالمية الأولي بهزيمة الأتراك حدثت صدمة كبيرة في الأوساط السياسية والشعبية المصرية خاصة بسبب تصريح الحلفاء وعلى رأسهم بريطانيا حق الشعوب المتحررة من الأتراك في تقرير مصيرها دون الإشارة لمصر، وزادت المطالبة العلنية في مصر بالاستقلال كنتيجة لانتشار الأفكار التحررية بعد إعلان تصريح "ولسون" الذي ناد بحق تقرير المصير خاصة مع تزايد أعباء الحكم الإنجليزي على مصر وصدور وعود بريطانية بالجلاء لا يتم تنفيذها واستغلال أجنبي لثروات البلاد وظل الاهتمام المصري بالمسألة السودانية يظهر تارة ويختفي تارة أخري غير أنه لا يكاد ينقطع في أي من الحالتين، و كل ما كان يحدث هو تغير أمر المهتمين بالمسألة والوسائل التي يصطنعونها والأشكال التي يعبرون بها وفقاً لتغير الظروف الداخلية والخارجية المحيطة بمصر مما جعل مسألة إزالة الاحتلال هو شغل المصريين وهمهم الأول منذ إعلان الحماية البريطانية عام **1914** (البحيري، ز.**2009** : **17**).

وأما في السودان فلم تخمد الحركات التي ترفض الاستعمار الإنجليزي ؛ فقامت ثورات فردية وجماعية وحركات وطنية منها :

- ثورة" الخليفة شريف" ومعه أبناء المهدي، إلا أنهم استسلموا لبريطانيا في نوفمبر **1898**، ثم ما لبثوا أن قاموا بثورة أخري فقامت بريطانيا بإعدام قيادات هذه الثورة بما فيهم أبناء المهدي ؛ ولم ينج منه سوي" عبد الرحمن بن المهدي " الذي لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره.
- حركة "على بن عبد الكريم " سنة **1900** في "ام درمان" وحركة أخري في جبل "تقلي" سنة **1903** وثورة "تالودي" سنة **1906** في جبال النوبة، وحركة " على دينار " الذي دعا إلى إقامة حكومة دينية، وتلقب بالسلطان في دارفور، إلا إنه قُتل في **1916** (لقوشه،ر.**39**:**2007**) .

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولي دخلت الحركة الوطنية في السودان مرحلة جديدة بفعل عوامل عديدة منها انتشار مبدأ "حق الشعوب في تقرير مصيرها "، واتساع التعليم في السودان والذي أدى بدوره إلى نمو الحركة الوطنية والقومية، كما كان لتزايد الأطماع البريطانية في السودان دورًا في إثارة سخط الشعب السوداني ضد بريطانيا، فأسس زعماء الحركة الوطنية "نادي الخريجين" منذ صيف عام **1918** في مدينة أم درمان الذي أثار روح الحماسة عند السودانيين من خلال إصدار المنشورات السرية

التي طالبت بالثورة ضد الوجود البريطاني حتى نيل الاستقلال. (نجيله،ح. **1973**: **18**).

ويرجع العامل الأكبر في إشعال الحركة الوطنية في السودان إلى ثورة عام **1919** في مصر والتي قادها سعد زغلول حيث تصاعد النشاط الوطني في السودان، فإذا اعتبرنا أن تأسيس نادي الخريجيين في أم درمان في مايو**1918** بمثابة نقطة البدء في تاريخ الحركة السياسية في السودان، على أساس أن مؤتمر الخريجيين الذي بدأ نشاطه السياسي انبثاقًا من هذا النادي هو الذي ظهرت منه الحياة الحزبية في السودان في منتصف الأربعينات فإنه ينبغي الإشارة إلى أن مشروع هذا النادي يعود إلى نظار المدارس الابتدائية السودانية وكانوا كلهم من المصريين وكانت فكرة هذا النادي تعود في الأساس إلى "نادي المدارس العليا" الذي ظهر في مصر قبل الحرب العالمية الأولي وكان أحد ركائز الحركة الوطنية فيها (رزق،ي.**1971**،**234**)، ولما ظهرت مقدمات ثورة مصر بعث "ونجت" برسالة إلى لندن في **19** ديسمبر **1918** بلفت النظر إلى أن هناك بعض الاتجاهات الثورية التي انتقلت إلى السودان خاصة بين سكان منطقة الخرطوم وأم درمان ومدن السودان الشمالي وشعرت حكومة السودان بالخطر فمنعت دخول الصحف المصرية ولكن الضباط والموظفين المصريين كانوا يحتالون على ذلك ويهربون الصحف المصرية إلى السودان بشتى الطرق وكان يُقبل على قراءتها سرًا السودانيون وبدأت انعكاسات الثورة المصرية والوحدة الوطنية تظهر بالفعل داخل السودان عندما زار عدد من المسلمين الكنيسة القبطية لتهنئة إخوانهم الأقباط بالعيد وفي عطبرة أقيمت احتفالات بمناسبة انتصار الثورة المصرية وعند عودة بعض الضباط والجنود المصريين من إجازتهم إلى السودان عن طريق بور سودان قاموا بالهتاف لمصر والسودان وسعد والثورة ويذكر "جورج لويد" أن الحركة القومية في السودان قد انبثقت من وجود المصريين الذين قاموا بنشر أفكار تخريبية لخدمة أغراضهم وساعدهم على ذلك احتكاكهم بالسودانيين في الجيش وإدارات الحكومات المختلفة واستجابت بعض الجماعات الشعبية السودانية لهذه الدعاية ويتفق مع لويد بعض المؤرخين السودانيين في حين يري بعض المعتدلين أن بداية الاضطرابات التي حدثت في أول الأمر في السودان نتيجة لإيحاء من الثورة المصرية ولكن ثورة

1924 التي عمت أنحاء السودان كانت ثورة نابعة من أعماق الشعب السوداني ذاته وتأثر ثورة 1924 بثورة 1919 أمر طبيعي جدًا فجميع الحركات الثورية في العالم تتأثر بالحركات المنتشرة حولها في العالم بالإضافة إلى أن الأوضاع في السودان كانت سيئة للغاية بدرجة أدت إلى ظهور اتجاهات بدرجة أدت إلى ظهور اتجاهات معبرة عن واقع المجتمع السوداني (البحيري، ز.2009 :57)، وقد جاء على لسان السلطات البريطانية في شهر يوليو من عام 1919قولها (إن صغار الموظفين والطلبة قد بدءوا بالتأثر بالأحداث الجارية في مصر، وأن اهتمام السودانيين عامة قد زاد زيادة كبيرة بتلك كبيرة بتلك الأحداث منذ أواسط عام 1919 وأن هذا الأمر يستلزم الحيطة والحذر) وقد حرص الزعماء السودانيين على مشاركة المصريين في ثورتهم ضد الاحتلال البريطاني من أجل الجلاء من أراضيهما وأرسل احد الزعماء الوطنيين في يناير من عام 1920 منشورًا إلى جميع المديريات السودانية يحمل بين طياته انتقادًا شديد اللهجة للسياسة القمعية التي اتبعتها الإدارة البريطانية في السودان ومحاولتها زرع الفتنه وإحداث الفُرقة بين السودانيين والمصريين وجاء في المنشور (إن هدف السياسة البريطانية خلق انقسامات بين مختلف القبائل لاكتساب مساعدة الواحدة ضد الأخرى... وهي تهدف أيضا إلى خلق انقسامات بين كبار رجال الدين المعروفين، حينًا تُقرب احدهم إليها وتبعد الآخرين، وأحيانًا تؤيد بالمال واحدًا وتسجن الأخر) (البحيري، ز.2009 : 19)، وبدأ يظهر دور الطبقة المتعلمة والمثقفة وتأثر عدد من السودانيين بالروح الوطنية التي بثها الضباط والموظفون المصريون العاملون في بلدهم المتأثرون بثورة 1919،حتى صار لاسم سعد زغلول وحمد الباسل من التقدير ما لم يتأت لأسم أي بطل من أبطال التاريخ الأوليين ونادي أحد الضباط السودانيين المتقاعدين ويُدعي (محمد أمين هديب) مطالبًا جميع السودانيين بالإتحاد مع المصريين لإجلاء الإنجليز (راضي،ن. 1985: 28)،ويشهد عام 1919 إنشاء عدد من الجمعيات السرية لمناهضة الوجود البريطاني يتضح من تسميتها مدي التأثير المصري فيها مثل جمعية اليد السوداء إلى جانب جمعيات سرية أخري شهدت السنوات التالية قيامها مثل (جمعية العمل على خلاص البلاد وجمعية الإتحاد للسودان) وقد ظهرتا العام التالي (رزق،ي.1971، 235)، بينما عملت بريطانيا على

تعميق مفهوم " السودان للسودانيين " وتشكلت جمعية سرية باسم " الاتحاد السوداني سنة **1921** وكان أعضاؤها من طلاب "كلية جوردون " (جامعة الخرطوم حاليا)، وتأسست أيضًا جمعية "اللواء الأبيض " التي أسسها (على عبد اللطيف) ولعبت دورًا كبيرًا في ثورة **1924** بالسودان، كما تشكلت جمعيات أخري منها على سبيل المثال (جمعية قبيلة الجعليين – جمعية العمال – جمعية وحدة السودان) وكانت الحركة الوطنية السودانية تنادي بالوحدة مع مصر، وأمام ذلك لجأت بريطانيا إلى حث أنصارها من الزعماء القبليين على التصدي لهذه الحركة من خلال الكتابة في صحيفة " حضارة السودان" التي ظهرت في أغسطس **1920**، ودعت منذ صدورها إلى أن يبتعد السودان عن مصر. (لقوشه،ر.**39**:**2007**). ومن ذلك أيضًا قيام السيد على الميرغني والسيد عبد الرحمن المهدي وعدد كبير من زعماء القبائل في **3** أبريل **1919** برفع مذكرة إلى الحاكم العام يتبرءوا فيها من الثورة المصرية ويعلنوا عدم موافقتهم عليها وذكروا فيها:

- أنهم مدينون للإدارة الإنجليزية في السودان وخدماتها الجليلة في التعمير.
- أنهم يعنون ولائهم التام وإخلاصهم الكامل.
- أكدوا أنهم ليست لهم علاقة بما يجري في مصر.

فهذا الجيل أي جيل الشيخ الميرغني ومشايخ الصوفية عاصروا الثورة المهدية ورأوا أهوالها فكانوا ضد أي تغير يمكن أن يحدث وأي تغير يمكن أن يحدث سيكون في غير مصلحتهم فمساندتهم للإنجليز من هذا المنطلق لا تعد خيانة للوطن وإنما دعمًا للاستقرار الذي يضمنه وجودهم في البلاد (أبو سليم،م.**182**:**1992**).

وكرد فعل رسمي لما جري في مصر، رأت حكومة السودان أن يتحرك وفد من زعماء الطوائف الدينية والقبائل والعلماء لتهدئة الملك بالنصر وقبل سفرهم قدموا للحاكم العام ما سمي (عريضة الولاء) استنكروا فيها ما يجري في مصر(راضي،ن. **1985**: **28**) وكان سفر هذا الوفد في حقيقة الأمر لضرب الحركة الوطنية الودانية الناشئة ولإظهار الزعماء الدينيين بمظهر الممثل الحقيقي لشعب السودان (البحيري، ز.**2009** :**59**) .

والجدير بالذكر أنه عندما كتبر السير (لي ستاك) القائم بأعمال الحاكم العام وقتها إلى المندوب السامي في مصر (سير رجنالد ونجت) عام **1919** مذكرة عن التطلعات القومية في السودان ذكر فيها أن زعماء الطرق الصوفية الثلاثة قد أقروا أن أغلبية السودانيين لم يصلوا إلى درجة الطموح الوطني بقصد التطور السياسي الذي يمكنهم من إدارة أنفسهم وقال أنهم قاموا بوضع جذور القومية السودانية والتعاون مع الإمبراطورية البريطانية وأشار إلى تشكك السودانيين في نية المصريين وعدم الثقة بهم .. وجاء في ختام المذكرة "إنه ليس من الحكمة اعتبار أراء هؤلاء الزعماء معبرة عن تعبيرًا كاملاً عن الشعور الوطني في السودان(البحيري، ز.**2009**: **59**). وتكرر الأمر عقب تصريح **28** فبراير **1922** الذي نص على الاستقلال المشروط لمصر حيث وَقع السيد على والقادة الآخرون على مذكرة أعدتها المخابرات السودانية ومما ورد فيها أن "السودان بلد قائم بنفسه وشعبه قائم بنفسه وأنه يطلب رقيًا على الأسلوب الذي يلائمه وأن يستمر السودان بالتقدم تحت الإدارة البريطانية" وعقب هذه المذكرة دبرت الحكومة السودانية لقاء يجمع بين قيادات الطوائف الدينية واللورد اللنبي الذي شكرهم على مدي تفهمهم لأهداف السياسية البريطانية (أبو سليم، م.**183**: **1992**).

وفي هذه الأثناء قام السودانيين بجمع السودانيين بجمع توقيعات من الشعب على غرار ما تم في مصر مما نقل شعور الاستقلال إلى قطاعات كبيرة من المواطنين وحاولت بريطانيا إبعاد الطبقة المثقفة التي لم تتعد **1**٪ من السودانيين عن التفاعل مع الشعب من خلال إفساح المجال للزعماء التقليديين،وطبق البريطانيون سياسة اقترحها "جون مافي" الذي شبه الزعماء التقليديين والدينيين في السودان ب " الغدد الحامية للجسم" ؛ لذلك منحت "على الميرغني" لقب "سير "، أما الطبقة المثقفة من الحركة الوطنية فهي من وجهة نظره "جراثيم فتاكة" (لقوشه، ر.**39**: **2007**)، فقد كان من نتائج الثورة المصرية عام **1919** أن أصاب المسئولين البريطانيين في السودان قلق عميق من التأثير المصري على الطبقة الوليدة من السودانيين الذين تلقوا تعليمًا غربيًا وكانت لديهم طموحات قومية أولية للسودان من بينها "وحدة وأدى النيل " وعندما أُرسل "اللورد ميلنر" إلى القاهرة عام **1919** على رأس اللجنة التي عُرفت باسمه لتقديم توصياتها

بشأن العلاقة الدستورية بين بريطانيا ومصر، دعا بحزم إلى عم تشجيع الاعتراف أو التوسع في هذه الطبقة الجديدة من المتعلمين في السودان والتي يفترض أن ترث مستقبلاً المهام الإدارية والقضائية التي يفترض أن يتولاها موظفون بريطانيون وأقترح بدلاً من ذلك نظام "نظام للحكم غير المباشر " بمقتضاه لا يتم تسليم وظائف الحكم إلى النخبة المتعلمة وإنما تترك للسلطات القبلية التقليدية على أن يوجد إلى جوارها مستشارون بريطانيون (كولينز،ر. **2010**:**57**). وكان من ضمن توصيات تقرير "اللورد ملينر" كذلك ضرورة إبعاد مصر عن السودان في ظل إدارته إذ أدى هذا الأمر إلى انتشار ممارسة العمل السياسي وتم استغلال كل فرصة للتعبير للاستياء من بريطانيا (العدوي،أ.**1979**: **34**).

وكان من أهم مظاهر تأثر الحركة الوطنية في السودان بثورة **1919** في مصر الجمعيات الأهلية التي تأسست لمقاومة الاحتلال وكان منها:

- جمعية الإتحاد السوداني

تعد جمعية الإتحاد السوداني أول تنظيم سياسي حديث، تأسست بمدينة أم درمان في أوائل عام **1920** وكان أعضائها من خريجي كلية غوردن، تأثرت هذه الجمعية بالحركة الوطنية المصرية كما شجعت على أهمية تعزيز الروابط مع مصر، وكان شعار الجمعية "السودان للسودانيين والمصريون أولي بالمعروف" واستمدت الجمعية هذا الشعار من مقال قد نشر بجريدة التايمز البريطانية قام ناظر كلية غوردون بقراءة على بعض خريجي الكلية وكان المقال ينادي بفصل السودان عن مصر ولكن الجمعية قامت بتعديله ليصبح متوافقاً مع أهدافها (شبيكة، م.**1988**:**523**)، وحظيت أفكارها وطروحاتها بقبول واسع لدي الصحافة المصرية، إذ قامت بنشرها بلا تحفظ وأصبحت في متناول القراء واستخدمت الجمعية أساليب متعددة في مواجهة الاحتلال البريطاني منها إرسال مذكرات احتجاج وعقد الندوات الأدبية وتنظيم المسرحيات.

ومن أهم المشاركات الفعالة لجمعية الإتحاد السوداني إنه عندما بدأت بريطانيا اتخاذ خطوات جدية لفصل مصر عن السودان عقب تقرير اللورد ميلنر عام **1920** ان قامت الجمعية باستغلال كافة فرص التعبير الممكنة لإعلان الاستياء من تصرفات بريطانيا فقامت بإصدار عدة منشورات طالبت فيها السودانيين بالوحدة مع مصر لإفشال المخطط

البريطاني وأرسلت برقية احتجاج إلى الحاكم العام استنكرت فيها المساعي التي تقوم بها السلطات البريطانية لإبعاد السودان عن مصر، ودعت زعماء الحركة الوطنية في السودان إلى خوض النضال المشترك مع مصر، وقام عبيد حاج الأمين بإرسال رسالة إلى الأمير عمر طوسون أعلن فيها أن السودانيون الوطنيون مؤيدون للشعب المصري ومعارضون لانفصال مصر عن السودان تحت أي ظروف(راضي،ن **1985**: **30**).

وحرصت الجمعية كذلك على التوفيق بين العمل السياسي والأنشطة الثقافية والأدبية في مقاومة الوجود البريطاني، ولكن عدم استجابة الاحتلال البريطاني لمطالبها دفعها لتغير هذا النهج لذلك عملت على تصعيد نشاطها السياسي من خلال توجيه الانتقاد الشديد اللهجة للإدارة البريطانية في السودان بالإضافة إلى قيام سكرتير الجمعية عبيد الحاج الأمين بتوجيه الاتهامات إلى زعماء الطوائف الدينية (على الميرغني زعيم الطائفة الختامية وعبد الرحمن المهدي زعيم طائفة الأنصار والشريف الهندي زعيم الطائفة الهندية) بالتواطؤ مع الحكومة البريطانية وتأييدهم لفكرة فصل السودان عن مصر، كما انتقدت الجمعية جريدة (الحضارة) الناطقة بلسان المؤيدين للاحتلال البريطاني لنشرها مقالات تدعو لاستمرار الوصايا البريطانية على السودان ورفض التدخل المصري في شئونه (خير،أ. **1972**:**56**). وكانت منشورات الجمعية تطبع في المطابع الحكومية خلسة بمعاونة بعض العاملين في الإدارات الحكومية ؛ وعبرت الجمعية عن ارتباطها بمصر في مقالات مُرسلة إلى الصحف المصرية فنشرت في صحيفة الأهرام مقالاً لعبيد الحاج الأمين يشكر فيه الأمير عمر طوسون على اهتمامه بشئون السودان وذكر فيه أيضًا أن الحركة الوطنية السودانية تعارض الانفصال عن مصر وتمكن أيضًا أحد أعضاء الجمعية من نشر كتاب سري بعنوان "نسمات الربيع" في مطابع جريدة الحضارة رغم الرقابة الشديدة وكان له صدي واسع (البحيري، ز.**2009** :**62**).

- جمعية اللواء الأبيض:

تأسست عام **1923** على أثر الانقسام الذي حدث داخل جمعية الإتحاد السوداني بسبب تباين الآراء بين أعضاؤها حول كيفية التعامل مع الجانب البريطاني فيما يخص مستقبل السودان السياسي والعلاقة مع

مصر فاجتمعت أراء بعضهم على تشكيل كيان سياسي منفصل بقيادة الملازم على عبد اللطيف وعضوية كلاً من (عبيد حاج أمين وحسن شريف وإبراهيم المتبقي وصالح عبد القادر) وقامت الجمعية بتشكيل عدة فروع لها في المدن السودانية وكان من بين أهدافها خدمة المثل العليا في السودان ومناهضة فصل السودان عن مصر، واتخذت الجمعية "وحدة وأدى النيل " شعار سياسي لها الأمر الذي دفع الحكومة السودانية إلى الحط من مصداقية الجمعية ومؤسسها على عبد اللطيف ووصفة ب"نصف المتعلم " الذي خدعه السياسيون المصريون(كولينز، ر.**2010**: **53**).

ونجحت الجمعية في إيصال أفكارها إلى المؤسسات العسكرية والنقابات المهنية ومختلف الطبقات ونجحت في كسب تأييد العناصر الفاعلة في المجتمع السوداني فانضم إليها عدد من ضباط الجيش وموظفي الحكومة والتجار فنجحت في تأسيس قاعدة شعبية مؤيدة لها فضلاً عن طبقة الأفندية التي كانت قد تعرضت لاضطراب كبير بشكل خاص عام **1922** حينما أصدرت الحكومة السودانية – في إطار سياسية الحكم غير المباشر – مرسوم سلطات المشايخ الرُحل وفي العام التالي تم إقرار وتعزيز وإعادة تنظيم السلطات القضائية لأكثر من ثلاثمائة شيخ قبلي وقد تجاهل هذا المرسوم بشكل واضح تطلعات السودانيين المتعلمين بالمصالح الحكومية الذين بدءوا يدركون وهم تصوروا في السابق أنهم الورثة الحقيقيون للحكم البريطاني في السودان النوايا الحقيقية للاحتلال البريطاني،بالإضافة إلى عضوية المصريين الموجودين في السودان(راضي،ن. **1985**: **31**)، وانتشرت فروع الجمعية في مدن السودان الشمالية أما الجنوب فلم تسمح له ظروفه الإدارية بالانخراط في النشاط السياسي على الرغم من أن زعيم ثورة **1924** على عبد اللطيف كان من الدنكا فذلك يرجع إلى انه كان ضابطاً في الجيش المصري.

واستخدمت الجمعية أيضا في مواجهة الاحتلال البريطاني أسلوب الإضراب العام ولكن هذا الأسلوب لم ينجح بسبب ضعف التنظيم وتعرض الموظفين للاضطهاد من الجانب البريطاني ويذكر أن كان

للجمعية دور كبير في إثارة الروح الوطنية في الريف السوداني الذين عانوا من الظلم والاستغلال على يد الاحتلال البريطاني.

اهتمت الحكومة المصرية بموقف الجمعية المساند لها، ومن مظاهر ذلك زيارة رئيس الحزب الوطني المصري حافظ بك رمضان للسودان عام **1923** ولقاؤه مع على عبد اللطيف وأخبره بأن الحكومة المصرية ستبدأ بالمفاوضات مع الجانب البريطاني في لندن وأن موضوع السودان من أولويات الحوار وعليه فإن مصر بحاجة إلى مؤازرة السودانيين سياسيًا وشعبيًا في مفاوضتها مع الحكومة البريطانية.

وأمام النشاط الكبير للجمعية قام الإنجليز باستخدام جريدة الحضارة لطمس معالم كفاح الشعب المصري وتوجيه السودانيين المتخرجين من المدارس الحديثة للولاء لهم، وقامت الإدارة الحكومية بإجبار الأهإلى على توقيع عرائض الولاء لبريطانيا بالقوة وفي المقابل قام مأمور جبال النوبا زين العابدين عبد التام وهو من أنشط أعضاء اللواء الأبيض أثناء وجودة في القاهرة بتوصيل إقرارات من أهالي منطقة جبال النوبا يقرون فيها إخلاصهم لملك مصر وهي مجموعة عرض حالات وقع عليها الأهالي كتب فيها " نحن شعب جنوب الوادي لا نريد بقاء أي جندي أجنبي في بلادنا وقد وكلنا سعد زغلول للمطالبة بحقنا في الحرية والسيادة" وعندما وصل إلى الخرطوم للاتفاق مع اللواء الأبيض لتشكيل وفد إلى القاهرة منعتهم السلطات البريطانية من السفر إلى القاهرة فقامت مظاهرة حاشدة أمام كلية الطب وخطب على عبد اللطيف منتقدًا منع سلطات الاحتلال سفر الوفد إلى القاهرة وفي نفس اليوم تم الاجتماع ف منزل على عبد اللطيف في القاهرة وتقرر إرسال مذكرة احتجاج إلى مجلس النواب المصري بتاريخ **17** يونيه **1924** يعلنون فيها سخطهم من سياسة التطويق الإنجليزية ومنع الوفد السوداني من السفر إلى مصر لعرض وثائق تأييد السواد الأعظم من أهالي السودان لمصر وحكومتها وأستنكر مجلس النواب المصري ما حدث وكان لأعضاء الحزب الوطني النصيب الأوفى من المناقشات فقد تحدث النائب "عبد الرحمن الرافعي" موضحًا " أن بالسودان حركتان متناقضتان حركة طبيعية صادرة من أحشاء الشعب السوداني وحركة مصطنعة تقوم بها السلطات الإنجليزية وأن الحركة الأخيرة لا يمكن السكوت عليها

(البحيري، ز.2009 :73) ؛ كذلك أصدر مجلس الشيوخ احتجاجًا شديد اللهجة على أعمال القمع والإرهاب لمنع السودانيين من إظهار تعلقهم بمصر (مجلس الشيوخ، جلسة 30، 25 يوليو1924، ص303- 304) فقد انتقد النائب الوفدي محمد علوي الجزار الأعمال التي يقوم بها الاحتلال لفصل السودان عن مصر (مرقص، ي.40:1989)،وأرسل السودانيون المقيمون في مصر احتجاجا إلى الصحف المصرية استنكروا فيه أعمال الإنجليز لفصل السودان عن مصر (البحيري، ز.2009 :73).

وفي الثامن من مايو أرسل السير لي ستاك إلى المندوب السامي في مصر يُخطره بأن الدعية المصرية تتصاعد في السودان ونصحه بوجوب مواجهة هذه الحالة بإجراءات محدده وفي25 يونيو أفصح اللورد بارمور بمجلس اللوردات أن الحكومة البريطانية لا تنوي ترك السودان أو التفريط في مركزها فيه فقوبل التصريح بموجة عاصفة من الاستياء والاحتجاج في شوارع مصر، عبرت عنها المظاهرات التي ازدحمت بها شوارع القاهرة في 27 يونيو ونشرت جريدة المقطم في عددها الصادر بتاريخ 24 يونيو أن " قضية مصر تقوم على اعتبار وأدى النيل كلاً لا يتجزأ فليس فيه سيد ولا مسود وليس فيه مالك ولا مملوك بل بلاد واحدة وأمة واحدة (أبو عرجة، ت. 264:1997).

وأمام جهود تأكيد الوحدة بين مصر والسودان قامت السلطات البريطانية بمحاولات حثيثة لضرب هذه الجهود فتم إنشاء معهد ديني للاستغناء عن نخرج الطلبة السودانيين من الأزهر وتم إرسال الطلبة السودانيين الذين يريدوا استكمال دراستهم إلى بيروت وليس القاهرة بالإضافة إلى إسناد الأعمال التنفيذية في السودان إلى المصريين حتى يصبحوا في نظر السودانيين الجباه والمتحكمون في أمورهم (مرقص، ي.37:1989).

لذلك شرعت سلطات الاحتلال البريطاني وفقًا لما نصح به مكتب المخابرات في اتخاذ الإجراءات للقضاء على جمعية اللواء الأبيض فألقت القبض على (على عبد اللطيف) وحُكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات أما بقية الموظفين المصريين والسودانيين الذين كانوا على اتصال باللواء الأبيض أو اشتركوا في التظاهرات الذي كان يحشدها فقد فرضت الحكومة على بعض منهم إجازات كما نقلت بعضًا ممن كانوا يعملون

بالمدن إلى مناطق نائية في المديريات المختلفة فقاموا بنشر الولاء لمصر في هذه المناطق (راضي،ن. **1985**: **34**).

ولكن على الرغم من هذه الإجراءات ازدادت قوة النضال الوطني ومن ذلك قيام سلطات البريطانية باعتقال شاب من جامعة أم درمان بسبب إلقائه خطبة معارضة للاحتلال البريطاني في احد المساجد وتجمع المصلين حوله.

قيام ثورة **1924**:

وفي الأول من شهر يوليوعام**1924** نظمت جمعية اللواء الأبيض مظاهرات عمت المدن السودانية إذ رفع المتظاهرون علم الجمعية ورددوا الهتافات المعادية لبريطانيا والمؤيدة لمصر ومما زاد اتساع نطاقها وتأجيجها اعتقال على عبد اللطيف في **4** يوليو ثم الحكم عليه بالسجن مدة ثلاث سنوات باعتباره المحرض الأول لانطلاق هذه المظاهرات مما أدى إلى اشتعال روح المقاومة ضد الاحتلال البريطاني وفي التاسع من نفس الشهر تمردت أو ورطة السكة الحديد التابعة للجيش المصري فاضطرت القوات البريطانية إلى استخدام القسوة لإخماد التمرد

وأيضًا في **25** يوليو قامت مظاهرة عند وصول قطار يحمل ثلاثة من السجناء المتهمين وواجهت السلطات البريطانية المظاهرة بمنتهي العنف والقسوة وتم القبض على عدد من أعضاء الجمعية منهم عبيد الحاج وصالح عبد القادر وحسن مدحت ومحمد بخيت فأدت هذه التطورات إلى اشتعال الشعور الوطني ضد الاستعمار البريطاني فقام طلاب المدرسة الحربية في الخرطوم بالإضراب في الثاني من أغسطس **1924** ونظموا تظاهرة طافوا فيها أنحاء المدينة حاملين بالعلم المصري وصورة الملك فؤاد وسعد زغلول رئيس الوزراء وتوجهوا إلى سجن الخرطوم هاتفين بحياة على عبد اللطيف ولكن نجحت القوات البريطانية في إحكام السيطرة عليهم وفضت المظاهرة وانتهي الأمر باعتقالهم وسجنهم لمدة أسبوع وبعدها نقلوا إلى سجن كوبر بالخرطوم وتم إغلاق المدرسة الحربية، واندلعت المظاهرات كذلك في أم درمان وشني ودنقلا وأُعتقل عدد كبير من المتظاهرين (راضي،ن. **1985**: **36**)،وقد أيدت كل هذه الحوادث مطالب الحاكم العام "السير لي ستاك " باتخاذ تدابير صارمة الأمر الذي ساعد القوات البريطانية على اتخاذ إجراءات شديدة تقضي بإخلاء الجيش

المصري عن السودان وتحت التهديد البريطاني رحل الجنود المصريين وبقي الضباط السودانيين في خيرة بين الولاء لمصر وبين الاحتفاظ برتبهم (كولينز، ر.**2010**: **59**) بالإضافة إلى إجراءات أخري تم اتخاذها بناء على الاتفاق بين الحكومة السودانية والقوات البريطانية، وفي **24** أغسطس حدث تمرد في مدينة واو في جنوب السودان، وقامت اضطرابات في دارفور ودنقلة والفنج ثم في ملكال في شهر سبتمبر بالإضافة إلى مدينة الصاي التي شارك منها شاعر الوطنية الأول خليل فرح والثاني زين العابدين عبد التام (هاشم، م.**101**:**2006**).

ولقد ساعدت السلطات البريطانية دون قصد منها على انتشار حركة الثورة فعندما كانت تنقل بعض أعضاء اللواء الأبيض إلى أماكن غير أماكن وجودهم بقصد تشتيتهم كانت تنقل النار إلى الهشيم ليتقد فصالح عبد القادر الذي نُقل إلى بور سودان كان عاملاً مساعدًا قويًا فيما نشب هناك من مظاهرات كذلك كان لنقل زين العابدين عبد التام من الأبيض إلى واو أثر فيما جرب بها من أحداث، ومما ساعد على اتساع مدي الثورة أيضًا مرور قطارات السكك الحديدية بالمدن التي قامت بها التظاهرات كذلك فإن وجود أجهزة البرق وخصوصًا أن أغلب رجال اللواء الأبيض كانوا من موظفي البريد والبرق فكان من الأسباب التي أدت إلى اشتعال النار في الهشيم وكانت ظروف المجتمع السوداني وأحواله السياسية والاجتماعية تدفع نحو الثورة واستمرت السلطات البريطانية في حملة الاعتقالات خلال شهري أغسطس وسبتمبر فألقت في السجون أعدادًا كبيرة من اللواء الأبيض وغيرهم من عامة الشعب الذين اشتركوا في المظاهرات كما صدرت الأوامر بترحيل التجار المصريين الذين شكت السلطات البريطانية في حقيقة نواياهم وأصبح الضباط والموظفون المصريون في السودان تحت تهديد عبارة ابتدعها الإنجليز وهي " غير مرغوب في إقامته في السودان " (الرافعي، ع. **1980**: **14**)،وأصدر نائب الحاكم العام منشورًا يلوم فيه موظفي الحكومة ويهددهم بالعزل من الخدمة إذا لم يقوموا بواجباتهم كما ينبغي وتطور الأمر إلى الفرقة الإنجليزية ارجيل كانت تجوب شوارع الخرطوم والطائرات كانت تحلق في المدينة كنوع من التخويف مما دفع العمل الوطني إلى العمل السري خلال شهري سبتمبر وأكتوبر ومن ذلك قيام جمعية الإتحاد بإرسال

منشورات إلى طلبة الكلية الحربية تطالبهم فيها بالصمود حتى النهاية وقيام فرع الانتقام في جمعية وحدة السودان في **12** أكتوبر بتوزيع خطابات وصلت نسخ منها إلى ممثلي الحكومة كما صدر منشور أخر بتوقيع "جماعة علماء السودان" وجدت نسخ منه معلقة على صناديق البريد وأعمدة البرق وكان فيه دعوات قوية لقتال الإنجليز (البحيري، ز. **2009**: **91**).

نددت الصحافة البريطانية بالموقف المصري من الأحداث في السودان فقد أرجعت الأحداث إلى دعاية المتطرفين المصريين الذين يسعون إلى – من وجهة النظر البريطانية – إلى ضم كل حوض النيل إلى مصر. وكانت تعبر بذلك عن وجهة النظر الرسمية بالإضافة إلى الجناح المتطرف من أصحاب المصالح التجارية في السودان مما أدى إلى رفع الأصوات المنادية بفصل مصر عن السودان نهائيًا.

موقف الحكومة المصرية من الأحداث في السودان عام **1924**:

كان لمصر موقف إيجابي من هذه الأحداث حيث قام رئيس الحكومة سعد زغلول في **15** أغسطس **1924** بإرسال احتجاج في شكل مذكرة إلى الحكومة البريطانية عن أحداث السودان التي أرجعت أسبابها إلى تعنت الموظفين البريطانيين وقيامهم بفرض الإرادة البريطانية بالقوة على السودانيين وطالبت الحكومة المصرية بتشكيل لجنة مصرية – سودانية للتحقيق في الأحداث وتم اعتبار احتجاج الحكومة المصرية بمثابة احتجاج تهديدي، وفي **22** أغسطس أرسلت الحكومة المصرية مذكرة أخري إلى الحكومة البريطانية تُكرر فيها أن السبب وراء الأحداث هو تعنت الموظفين البريطانيين وتوضح أنه ليس من حق الردار طرد الكتيبة المصرية من عطبرة في السودان دون أخذ رأي الحكومة المصرية وتولي الرد على الحكومة المصرية نائب المندوب السامي الرد على الحكومة المصرية وأرجع ما قامت به الحكومة السودانية إلى الاتفاق بين الحكومة البريطانية والسودانية حول ما يجب فعله لتهدئة الأوضاع في السودان.

وخلال شهر أغسطس أيضًا تم عقد اجتماع بين السير لي ستاك الحكم العام في السودان والسير اللنبي المندوب السامي في مصر وبين مسئولي الحكومة البريطانية في لندن حول الإجراءات التي يجب إتباعها

لمواجهة تفاقم الأوضاع في السودان، وكان من أهم الأمور التي نص عليها اتهام الصحافة المصرية والبرلمان المصري بالمسئولية عن تفجر الأوضاع في السودان وهذا الأمر دفع الحكومة البريطانية إلى إعطائها صلاحيات لحكومة السودان في إبعاد موظفي السكك الحديدية المصريين وكل القوي التي تُشكل خطرًا على الوجود البريطاني إلا أن رئيس الحكومة المصرية سعد زغلول رفض أن يكون للحاكم العام حق اتخاذ قرار إبعاد القوات المصرية أو الموظفين المصريين دون الرجوع للحكومة المصرية.

وعندما قامت محادثات سعد – ماكدونالد أرسل وكيل اللواء الأبيض ووكيل الاتحاد السوداني تلغرافين موجهين إلى ماكدونالد نُشرا في الصحف المصرية لإبلاغ رئيس الحومة البريطانية أن " لا شيء يُرضي السودانيين دون الاستقلال التام لحوض النيل ككل....." وأن دعوتهم – لا دعوة الزعماء - هي الجديرة بالاعتبار وانتهت المحادثات المصرية البريطانية **1924** بالفشل حيث لم تنجح بريطانيا حتى ذلك الوقت في فصل السودان عن مصر حتى استجد أمر جديد (البحيري، ز.**2009** :**91**) وكان هذا الأمر الدافع وراء تطبيق بريطانيا خطة لإجلاء الجيش المصري عن السودان ففي **19** نوفمبر تم اغتيال السير لي ستاك الحاكم العم في السودان أثناء وجوده في مصر (كولينز، ر.**2010**: **59**).

وفي **22** نوفمبر أرسل اللورد اللنبي المندوب السامي في مصر إنذار إلى الحكومة المصرية حملها فيه مسئولية هذه الجريمة وطالب في الإنذار

1- اعتذار الحكومة المصرية.

2- مواصلة البحث عن الجناة وإنزال أشد العقاب بهم.

3- حظر المظاهرات الشعبية.

4- دفع تعويض مقداره نصف مليون جنيه.

5- إصدار الأوامر خلال **24** ساعة بإرجاع جميع الضباط والوحدات المصرية من السودان.

6- تبليغ السلطات المختصة بأن حكومة السودان ستزيد مساحة الأراضي المنزرعة في الجزيرة إلى أقصي حد ممكن.

فكان استغلال للحادث من جانب بريطانيا بأقصى صورة ممكنه وعلق أحد الكتاب البريطانيين على الحادث قائلاً " الأقدار أرسلت جثة

السردار كحل لموقف لم يعد محتملاً" (رزق، ي. 275:1975)، وقد احتجت وزارة سعد زغلول على الإنذار وأوضحت في ردها على الإنذار أن " ما تم اقتراحه من ترتيب جديد للجيش المصري بالسودان، لا يُعد فقط تعديلاً للحالة الحاضرة التي سبق للحكومة البريطانية أن صرحت برغبتها في المحافظة عليها، بل هو مناقض تمامًا لنص المادة 46 من الدستور المصري، التي تنص على أن الملك هو القائد الأعلى للجيش، وهو الذي يولي ويعزل الضباط" وقدم استقالة الوزارة في 23 نوفمبر 1924 وقبلها الملك وكلف زيور باشا بتشكيل الحكومة الجديدة (الجمل،ش.1997: 356).

مما سبق يتضح أنه العلاقات المصرية السودانية تمتد إلى أمد بعيد،وبعد الاحتلال البريطاني لو أدى النيل عاني المصريون والسودانيون من مآسي الاحتلال معًا وجاء تطور الحركة الوطنية في مصر بعد الحرب العالمية الأولي ليعمق أواصر الوحدة بين شعبي وأدى النيل فكان لثورة 1919 أثر كبير على الحركة الوطنية في السودان وبالإضافة إلى عوامل أخري كان لها الأثر في تطور العمل الوطني في السودان منها وجود الموظفين المصريين ووصول الصحف المصرية مما أدى إلى قيام الثورة الشعبية في السودان عام 1924 ومساندة حكومة الثورة المصرية – حكومة سعد زغلول – للثورة واستقالتها عقب اغتيال الحاكم العام الذي قام بإجراءات تعسفية ضد الشعب السوداني.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية والمترجمة.

- أبو سليم، محمد إبراهيم (1992). بحوث في تاريخ السودان، بيروت: دار الجيل.
- أبو عرجة، تيسير (1997). المقطم جريدة الاحتلال البريطاني في مصر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- البحيري، زكي (2009). السودان تحت الحكم الإنجليزي المصري، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- الجمل، شوقي وإبراهيم،عبد الله عبد الرازق (1997)تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، القاهرة: دار الثقافة.
- الرافعي، عبد الرحمن (1980). مصر بين ثورتي 1919 و1952، القاهرة: دار المعارف.
- الطيب، زينب الزبير (2010). دراسات سودانية، السودان: إصدارات جامعة الخرطوم.
- العدوي، أحمد (1979). يقظة السودان، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- بصري، منير (1999). أعلام الوطنية والقومية العربية، لندن: دار الحكمة.
- بيضون، جميل (1992). تاريخ العرب الحديث، عمان: دار الأمل للنشر والتوزيع.
- خير، احمد (1991). كفاح جيل، الخرطوم: مطبعة جامعة الخرطوم.
- راضي، نوال عبد العزيز مهدي(1985). رياح الشمال دراسة في العلاقات المصرية السودانية، القاهرة: دار المعارف.

- روبرتسون، جيمس (**1996**). السودان من الحكم البريطاني المباشر إلى الاستقلال ترجمة مصطفي عابدين، بيروت: دار الجيل.
- شبيكة، مكي (**1988**). السودان عبر القرون، بيروت: الدار الثقافية.
- كولينز، روبرت أو(**2008**). تاريخ السودان الحديث ترجمة مصطفي مجدي الجمال، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- لقوشة، رفعت (**2007**). السودان إلى أين: القاهرة مجلس الفكر العربي.
- مرقص، يواقيم (**1989**). السودان في البرلمان المصري، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- نجيلة، حسن (**1972**). ملامح من المجتمع السوداني، الخرطوم: الدار السودانية.
- رزق، يونان لبيب (**1975**). تاريخ الوزارات المصرية، القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية.
- غرابية، محمود عباس (**1987**). تاريخ العرب الحديث، بيروت: دار الأمل للنشر والتوزيع.

الدوريات والأبحاث العلمية:

- أبو كف أحمد، (**1989**) " **63** سنة على ثورة **1919** ". الهلال، دار الهلال،ص **47**ص **57**
- رزق، يونان لبيب (**1971**) "أيديولوجية الوحدة بين مصر والسودان"القاهرة، السياسية الدولية ص **234**.